

٩ - ثلاثة قرارات لوقف إطلاق النار

بعد عودة الرئيس السادات من مركز العمليات ليلة ٢٠/٢١ أكتوبر إلى مقر عمله فى قصر الطاهرة ، قرر الموافقة على وقف إطلاق النار . وسجّل مبررات هذا القرار بالآتى[١] :

- اتضح لى أن القمر الصناعى الأمريكى الذى كان يوصل المعلومات لإسرائيل ساعة بعد ساعة ، أخطرهم بنقل الفرقة ٢١ المدرعة من الضفة الغربية للقناة إلى الضفة الشرقية لمحاولة تخفيف الضغط على سوريا كما طلب وألح الرئيس الأسد ... وأقرر هنا للتاريخ أن روسيا التى تدعى وقوفها مع الحق العربى ، لم تبلغنا بشىء بواسطة أقمارها الصناعية التى كانت تتابع المعركة .
- ثم حدث تطور خطير بدأت أشعر به ، وأنا أتابع الحرب من غرفة العمليات . لقد استخدم الكوبرى (الجسر) الجوى الأمريكى لنجدة إسرائيل مطار العريش لنزول الطائرات الأمريكية الجبارة التى تحمل الدبابات وكل الأسلحة الحديثة ... والعريش تقع خلف الجبهة مباشرة .

وبدأت ألاحظ تطوراً خطيراً آخر فى معارك الدبابات التى اعترف الإسرائيليون أنفسهم بشراستها وكفاءة المصريين فى إدارتها . كنت كلما أصبت لإسرائيل ١٠ دبابات أرى مزيداً من الدبابات . لقد دخلت أمريكا الحرب لإنقاذ إسرائيل بعد

---

(١) الرئيس السادات : البحث عن الذات - طبعة عربية - ص ٣٤٧ .

النداء المشهور (انقذوا إسرائيل) فى اليوم الرابع ، وهى تستخدم بكل صراحة مطار العريش المصرى الذى يقع خلف الجبهة بكل وضوح لكى تحول الهزيمة الإسرائيلية إلى انتصار ... وتذكرت فى تلك اللحظات ما فعلته أمريكا على جبهة ألمانيا فى الحرب العالمية الثانية ثم على الجبهة اليابانية .

- أما التطور الثالث الخطير ، فهو أن أطلق صاروخان على بطاريتين مصريتين للصواريخ فعطلا البطاريتين تعطيلاً كاملاً . وعرفت بعد ذلك أنه صاروخ أمريكى جديد يسمى « القنبلة التليفزيونية » وأنه كان لا يزال تحت الاختبار فى أمريكا ، فأرسلته لنجدة إسرائيل .

- لقد دخلت أمريكا الحرب لإنقاذ إسرائيل حتى بالأسلحة تحت الاختبار ... وقنبلة المافريك وأسلحة أخرى . وأنا أعرف إمكانياتى وأعرف حدودى ... لن أحارب أمريكا .

- ولذلك ، بعد عودتى من عرفه القيادة فى الساعة الواحدة والنصف من صباح ٢٠/١٩ أكتوبر (يقصد ليلة ٢١/٢٠) كتبت للرئيس الأسد شريكى فى القرار برقية أخطره فيها أنى قررت الموافقة على وقف إطلاق النار . وسجلت فى هذه البرقية موقفى ، وهو أننى لا أخاف مواجهة إسرائيل ، ولكنى أرفض مواجهة أمريكا ... وإنى لن أسمح أن تدمر القوات المصرية مرة أخرى ... وإننى مستعد أن أحاسب أمام شعبى فى مصر وأمام الأمة العربية عن هذا القرار .

ويستطرد الرئيس السادات فى شرح وجهة نظره ، ويقول[1] :

وفى هذه الليلة ٢٠/١٩ أكتوبر (يقصد ٢١/٢٠) اتخذت القرار بوقف إطلاق النار ، فقد كان لى عشرة أيام أحارب فيها امريكا وحدى باسلحتها الحديثة التى لم يستخدم أغلبها من قبل .

وكان الموقف على غير ما يتصوره العالم كله ... فقد كان اعتقاد الجميع فى العالم أن الاتحاد السوفيتى يقف إلى جانبنا ، وأنه قد أرسل الكوبرى (الجسر الجوى) لنجدتنا . ولكن الموقف كان غير ذلك فى الواقع ... فأمريكا وإسرائيل فى مواجهتى ، والاتحاد السوفيتى فى يده الخنجر ويقع وراء ظهرى ليطعننى فى أية لحظة عندما أفقد ٨٥٪ أو ٩٠٪ من سلاحى كما حدث فى سنة ١٩٦٧ .

---

(١) المرجع السابق : ص ٣٥٠ ، ٣٥١ .

طلبت أن يستدعوا لى السفير السوفيتى ، وقلت له : « لقد قبلت وقف إطلاق النار على الخطوط الحالية » ... فى هذا الوقت كان كسنجر فى طريقه إلى موسكو بشأن عملية وقف إطلاق النار ، فاستأنفت حديثى مع السفير وقلت له :

« الدولتان العظميان يجب أن تضمنا وقف إطلاق النار والتنفيذ الفورى للقرار ٢٤٢ » .

□ □ □

وفى الساعات الأولى من صباح يوم ٢١ أكتوبر ، استدعى الرئيس السادات مستشاره للأمن القومى محمد حافظ إسماعيل ، حيث أبلغه أنه قرر طلب وقف إطلاق النار فى ضوء تطور الموقف على الجبهة العسكرية . وأضاف الرئيس أنه قد بعث فى طلب السفير السوفيتى لإبلاغه بذلك .

وفى سرده للاتصالات السياسية التى تمت يقول حافظ إسماعيل[1] « اتفق رأينا أن أقوم بإبلاغ كسنجر فى موسكو بقبولنا وجهة النظر التى تضمنتها رسالته بتاريخ ١٦ أكتوبر ، مع إضافة التحفظات التى قررها الرئيس » . وفى تسجيله للأحداث يقول حافظ إسماعيل « لم أكن أعرف تماما ماذا حدث حتى نتحرك بهذه السرعة نحو قبول وقف إطلاق النار ... غير المشروط بالانسحاب الإسرائيلى » . وبعد أن اتفقت أمريكا والاتحاد السوفيتى على قرار يصدره مجلس الأمن بوقف إطلاق النار خلال ١٢ ساعة من وقت صدوره ، اجتمع مجلس الأمن مساء ٢١ أكتوبر ، حيث أصدر فى الساعة ٠٥,٥٠ صباح يوم ٢٢ القرار ٣٣٨ الذى يقضى بالآتى :

١ – يدعو جميع الأطراف المشتركة فى الحرب الحالية إلى إيقاف إطلاق النار ، وإنهاء كل نشاط حربى فوراً فى موعد لا يزيد على ١٢ ساعة من لحظة صدور هذا القرار ، وذلك فى المواقع التى تحتلها الأطراف الآن .

٢ – يدعو الأطراف المعنية إلى البدء فوراً عقب إيقاف القتال ، بتنفيذ قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه .

---

(١) محمد حافظ إسماعيل – أمن مصر القومى – ص ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

٣ – يقرر أن تبدأ فوراً بالتزامن مع إيقاف القتال مفاوضات بين الأطراف المعنية تحت إشراف مناسب بهدف إقامة سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط .

وعندما صدر القرار وافقت كل من مصر وإسرائيل على وقف إطلاق النار اعتبارا من الساعة ١٨٥٢ يوم ٢٢ أكتوبر (السادسة واثنتين وخمسين دقيقة مساء) بتوقيت القاهرة .

ومما يذكر أن الدكتور كسنجر قام بزيارة إسرائيل فى طريق عودته من موسكو إلى واشنطن . وأخطر القاهرة بهذه الزيارة آملاً أن تتفهم أهدافها التى تتعلق « بتنفيذ قرار مجلس الأمن بغير إبطاء ... وترتيب الاشراف الأمريكى السوفيتى على جهود السلام التالية » .

بعث حافظ إسماعيل رسالة للدكتور كسنجر « يعتبر أن زيارته للقاهرة يمكن أن تخدم نفس الغرض » ورد كسنجر شاكراً للدعوة التى وجهت له لزيارة القاهرة ... والتى وصلته بعد أن كان قد غادر منطقة الشرق الأوسط ، راجياً تلبيتها فى أقرب فرصة ، خاصة بعد التوصل إلى وقف إطلاق النار .

□ □ □

وعندما توقف القتال بقرار مجلس الأمن يوم ٢٢ أكتوبر ، لم تكن إسرائيل قد حققت هدفاً سياسياً أو هدفاً عسكريا إستراتيجياً .

لقد أصبح لها رأس كوبرى على الضفة الغربية للقناة فى مساحة محدودة من الأرض ، بعد أن نجحت تكتيكيا فى معركة الدفرزوار (الثغرة) . كانت قوة العدو الإسرائيلى تعمل فى قطاع من جنوب ترعة الاسماعيلية شمالاً ، وجبل جنيفه جنوباً ، والبحيرات المرة شرقاً ، والفرقة الرابعة المدرعة غرباً ، وتربطها بقواتها الرئيسية شرق القناة بثغرة مساحتها حوالى سبعة كيلومترات .

وفى الوقت الذى توقف فيه القتال رسميا فى هذا اليوم ، كانت قوات الجيشين الثانى والثالث فى أوضاعها شرق القناة سليمة من الناحية التعبوية . ولم يكن فى قدرة إسرائيل زحزحتها ، وبالتالى فإن نتائج الحرب حتى ذلك الوقت موجودة على الطبيعة . أما فى غرب القناة ، فقد كانت قواتنا تعمل على احتواء العدو .

وكان تقييم الرئيس السادات للموقف فى ذلك الوقت ، كما شرحه لمساعدى الرئيس ونواب رئيس الوزراء ومستشار الأمن القومى فى قصر الطاهرة ، قال[1] :

إننا دمرنا للإسرائيليين ٥٠٠ دبابة ، وأن قواتنا دخلت معركة ١٤ أكتوبر (تطوير الهجوم فى اتجاه المضايق) قبل موعدها بيومين لتخفيف الضغط عن سوريا ، ونتيجة لهذا خسرنا ٢٢٠ دبابة . وكانت هذه المعركة هى المقدمة للاختراق الإسرائيلى فى منطقة الدفرزوار . وأوضح الرئيس أن الإسرائيليين قد حققوا التفوق نتيجة تدفق الإمداد الأمريكى المباشر ، حيث كانت طائرات النقل تهبط فى مطار العريش ... ثم أضاف أنه لم يكن على استعداد لقبول استمرار القتال ضد الولايات المتحدة وما يترتب على ذلك من تدمير قواتنا المقاتلة .

وتحدث عن تعهدات السوفيت بأن تضمن القوتان الأعظم تنفيذ قرار مجلس الأمن ، وعلى رأس المسائل موضوع الانسحاب الإسرائيلى . إلا أنه تحفظ بقوله إن ذلك لن يحل فى مرحلة واحدة ، ولكن الحل سيتحقق تدريجيا .

وفى المناقشة التى دارت بعد ذلك ، قرر الرئيس « أننا دخلنا الحرب لإقناع إسرائيل بأن الحرب لا تحل المشكلات » ثم أضاف « أننا قد كسبنا الاحترام بعد احتقار العالم لنا » ثم إننا « لا نستطيع أن نحقق تحرير سيناء عسكرياً » .

وقف إطلاق النار لم تحترمه إسرائيل :

عندما صدر قرار مجلس الأمن ٣٣٨ بإيقاف القتال إعتباراً من غروب شمس يوم ٢٢ أكتوبر ، كانت إسرائيل – برغم موافقتها على تنفيذه – تضمر نواياها بعدم احترامه .

لقد كانت إسرائيل تعلم أن موقف قواتها فى غرب القناة – فى منطقة الدفرزوار – يضعها فى موقف عسكرى ضعيف إذا استؤنف القتال مرة أخرى . فضلاً عن ذلك فإنها لم تحقق هدفاً سياسياً أو هدفاً عسكريا إستراتيجيا ، لفشلها فى إرغامنا على سحب قواتنا فى شرق القناة إلى غربها . كما أنها لم تتمكن من تهديد أو قطع خطوط مواصلات الجيشين أو أحدهما مع قواعد إمدادها . وفى نفس الوقت فشلت فى محاولتها للوصول إلى مدينة الاسماعيلية .

---

(١) محمد حافظ إسماعيل – أمن مصر القومى – ص ٣٤٨ .

لذلك قررت إسرائيل أن تبذل جهداً كبيراً لتحقيق قدر من المكاسب السياسية أو العسكرية قبل أن تلتزم بوقف إطلاق النار . وفى سبيل ذلك ، دفعت إسرائيل بقوات جديدة إلى غرب القناة ليلة ٢٣/٢٢ وليلة ٢٤/٢٣ أكتوبر لتعزيز قواتها فى منطقة الدفرزوار . ثم استمرت فى القتال وتقدمت قواتها جنوباً للوصول إلى مؤخرة الجيش الثالث لقطع طريق مصر السويس الصحراوى والاستيلاء على مدينة السويس .

وبينما كانت القوات الإسرائيلية تستعد لاقتحام مدينة السويس ، أصدرت القيادة العامة تعليماتها إلى محافظ السويس للدفاع عن المدينة . وتولى الفريق أول أحمد إسماعيل والسيد ممدوح سالم وزير الداخلية مداومة الاتصال بالمحافظ والسلطات المدنية للمساهمة الفعالة مع القوة العسكرية الموجودة داخل المدينة لمنع العدو من دخول المدينة وتدمير أى قوات معادية يمكنها دخولها . والحق يقال أن العميد[1] يوسف عفيفى قائد الفرقة ١٩ مشاة قدم - بمبادأة منه - كل دعم ممكن خصوصاً تخصيص الأسلحة للمدافعين عن المدينة .

وعلى المستوى السياسى اتصل حافظ إسماعيل مع كسنجر لابلاغه بأن إسرائيل تجاهلت القرار ٣٣٨ ، وطلب أن تعمل الولايات المتحدة « على وضع حد للتطورات الأخيرة وإعادة الوضع إلى ما كان عليه عند صدور قرار وقف إطلاق النار يوم ٢٢ » . وفى نفس الوقت كانت تتم إتصالات بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا بهذا الخصوص ، الا أن الولايات المتحدة من خلال مبادلاتها الدبلوماسية - حسب رأى حافظ إسماعيل - كانت تسعى لكسب الوقت حتى تتيح لإسرائيل الفرصة لتستكمل تحقيق هدفها العسكرى غرب القناة . كما أرسل الرئيس السادات رسالة إلى الرئيس نكسون يطلب فيها من الولايات المتحدة أن تعمل بطريقة فعالة « حتى لو تطلب الأمر استخدام القوة » لضمان تنفيذ قرار وقف إطلاق النار حيث تقوم إسرائيل باستغلال وقف إطلاق النار لتغيير الوضع على الجبهة العسكرية ، وحمَّل الرئيس السادات الولايات المتحدة مسئولية ما حدث برغم ضمانها لتنفيذ قرار مجلس الأمن .

وتوضيحاً للموقف العسكرى ، وتصحيحاً للأخبار غير الصحيحة التى كانت تذاع بالخارج فى هذه الفترة ، أصدرت القيادة العامة بياناً عسكريا يلخص الموقف العسكرى صباح يوم ٢٤ أكتوبر أوضحنا فيه أن :

---

(١) الفريق يوسف عفيفى محافظ البحر الأحمر حاليا .

١ – قواتنا فى سيناء تحتل الشاطىء الشرقى لقناة السويس من بور فؤاد شمالاً بطول ٢٠٠ كيلومتر وبعمق ١٢ – ١٧ كيلومتراً بما فيها مدينة القنطرة شرق ، عدا ثغرة صغيرة من الدفرزوار شمالاً بطول سبعة كيلومترات ملاصقة للبحيرات المرة . وتبلغ المساحة التى تسيطر عليها قواتنا شرق القناة ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف) كيلومتر مربع تقريباً .

٢ – لا توجد قوات للعدو إطلاقاً غرب القناة فى القطاع الشمالى من طريق الإسماعيلية وشمالاً .

٣ – لا تواجد إطلاقاً للعدو فى أى مدينة من مدن القناة الرئيسية (السويس – الاسماعيلية – بورسعيد) .

٤ – توجد بعض وحدات للعدو منتشرة ومتداخلة بين قواتنا فى بعض الأجزاء غرب القناة . وقد حاول العدو صباح اليوم – ٢٤ أكتوبر – قطع الطرق المؤدية إلى مدينة السويس ، ولكن قواتنا تمنعه بالقوة من تنفيذ أهدافه .

٥ – التموين إلى جميع قواتنا شرق القناة مستمر بصورة منتظمة ، ولم يتوقف لحظة واحدة .

□ □ □

ودار القتال خلال المدة من ٢٢ – ٢٤ أكتوبر بعنف شديد لعبت فيه قواتنا الجوية والفرقة الرابعة المدرعة دوراً بارزاً ، فقد تعددت الهجمات الجوية والمعارك الجوية بين الطرفين ، كما أن الفرقة الرابعة بذلت كل جهد ممكن فى القتال ضد العدو وكنا وضعنا هذه الفرقة تحت القيادة المباشرة للقيادة العامة ، حيث لم يكن ممكنا ترك هذه الفرقة تحت قيادة أحد الجيشين ، لأن العدو يعمل بقوات غرب القناة فى مساحة من الأرض قد تؤثر على الخطوط الخلفية لأحدهما .

وهنا لا بد أن أقرر أن العدو – خلال هذه الفترة – كان له التفوق العسكرى ، كما كانت المبادأة فى جانبه . بالاضافة لذلك فإن المنطقة غرب القناة كان بها الكثير من المستودعات والمخازن الإدارية التى لا يتيسر لها بحكم عملها وتنظيمها التسليح الكافى للدفاع ضد قوات مدرعة معادية . لهذه الأسباب كانت هذه الفترة من أصعب الفترات التى واجهتنا أثناء القتال غرب القناة ، ولذلك تحملنا الكثير من الخسائر المادية والبشرية .

وكان الرئيس السادات يتابع الموقف عن قرب خلال هذه الفترة ، وحضر إلى « مركز العمليات » أكثر من مرة خلالها واستمر معنا وقتا طويلا . وقد كنت على إتصال مباشر مع العميد عبد العزيز قابيل قائد الفرقة الرابعة المدرعة لمتابعة الموقف أولا بأول ، وتوجيهه لاستمرار الضغط على العدو حتى لايتمكن من توسيع المساحة التى تعمل فيها قواته وتعطيل تقدمه فى اتجاه السويس .

وفى إحدى زيارات الرئيس لمركز العمليات ، شرحت له الموقف الذى لم يكن فى صالحنا . وبعد إتصالات لا تنقطع منى مع قابيل ، أبدى الرئيس ارتياحه للجهد الكبير الذى تبذله الفرقة ٤ المدرعة فى القتال . ولم ينس الرئيس السادات موقف قابيل أو فرقته فى المواقف الصعبة التى واجهتها فى هذه الفترة . فقد كنا اقترحنا للعميد قابيل — ضمن مقترحات منح الأوسمة للمقاتلين بعد الحرب — وساما حددنا مستواه كالمتبع ، إلا أن الرئيس عدَّل بنفسه وخطه الوسام الذى يمنح له ليكون من مستوى أرفع وهو « نجمة الشرف » الذى يمنح للضباط الذين يقومون بأعمال تتصف بالشجاعة فى مواجهة العدو .

ونتيجة للعمل السياسى ، وبناء على طلب مصر عقد مجلس الأمن اجتماعا ، حيث أصدر مساء يوم ٢٣ اكتوبر قراره رقم ٣٣٩ بتأكيد مضمون قراره السابق ، كما « حث » الأطراف على العودة إلى الخطوط السابقة .

ووافقت مصر وإسرائيل على القرار والالتزام به اعتبارا من السابعة صباح يوم ٢٤ اكتوبر

معركة السويس :

وبرغم التزام إسرائيل بالقرار ٣٣٩ رسميا ، إلا أنها تركت لجيشها حرية العمل العسكرى على أمل احتلال « مدينة السويس » فتكون بذلك قد حققت هدفا سياسيا له تأثيره السياسى والعسكرى والاعلامى الكبير .

حاول لواءان من فرقة آدان المدرعة اقتحام المدينة من الشمال والغرب بعد قصف بالمدفعية والطيران مدة طويلة لتحطيم الروح المعنوية للمقاتلين داخل المدينة . ودارت معركة السويس اعتبارا من ٢٤ اكتوبر بمقاومة شعبية من أبناء السويس مع قوة عسكرية

من الفرقة ١٩ مشاة داخل المدينة . ويصعب على المرء أن يصف القتال الذى دار بين الدبابات والعربات المدرعة الإسرائيلية من جهة وشعب السويس من جهة أخرى وهو القتال الذى دار فى بعض الشوارع وداخل المبانى .

وبجهود رجال السويس ورجال الشرطة والسلطة المدنية مع القوة العسكرية ، أمكن هزيمة قوات العدو التى تمكنت من دخول المدينة ، وكبدتها الكثير من الخسائر بين قتلى وجرحى . وظلت الدبابات الإسرائيلية المدمرة فى الطريق الرئيسى المؤدى إلى داخل المدينة شاهدا على فشل القوات الإسرائيلية فى اقتحام المدينة والاستيلاء عليها . واضطرت القوات الإسرائيلية إلى الانسحاب من المدينة وتمركزت خارجها . لم تكن معركة السويس هى معركة شعب المدينة ، بل كانت معركة الشعب المصرى بأجمعه . ومن ثم أصبح يوم ٢٥ اكتوبر عيدا وطنيا تحتفل به مدينة السويس والدولة كل عام ، رمزا لبطولة أبناء السويس ومثلا يحتذى لقدرة الإنسان المصرى على البذل والتضحية .

□ □ □

واستمرت إسرائيل فى عدم احترام قرار مجلس الأمن ٣٣٩ ، بأن تقدمت قواتها جنوبا إلى ميناء الأدبية جنوب السويس واستولت على الميناء .

وأصدر مجلس الأمن قراره رقم ٣٤٠ مساء يوم ٢٥ اكتوبر على أساس مشروع تقدمت به الدول غير المنحازة ، والذى قضى بانشاء قوة طوارىء دولية لمراقبة تنفيذ ايقاف القتال ، وتأكيد قراره بعودة القوات إلى خطوط وقف إطلاق النار يوم ٢٢ اكتوبر .

وكانت إسرائيل قد تمكنت من قطع طريق مصر السويس الصحراوى ، الذى أصبح الورقة التى تستغلها أمريكا سياسيا عندما ظهر الدكتور كسنجر على المسرح السياسى فى المنطقة بعد الحرب مباشرة .

وبجهود سياسية من أمريكا ، وافقت مصر وإسرائيل على إجراء مباحثات لتثبيت وقف إطلاق النار واجراء الامداد لقوات الجيش الثالث .

وتقرر تعيينى ممثلا لمصر فى مباحثات عسكرية تتم عند الكيلو ١٠١ على طريق مصر السويس تحت إشراف الأمم المتحدة لمناقشة الاعتبارات العسكرية لتطبيق قرارى

مجلس الأمن ٣٣٨ ، ٣٣٩ وأن يسمح بمرور قول عربات تحمل إمدادات غير عسكرية إلى الجيش الثالث .

واجتمع الوفدان المصرى والإسرائيلى فى الساعة الواحدة والنصف من صباح يوم ٢٨ اكتوبر لبدء هذه المباحثات .

وبذلك توقف القتال يوم ٢٨ اكتوبر ١٩٧٣ .